: ثانيا : استعمال الألفاظ المختلفة في المواضع المتشابهة

ومما يتصل بهذه القضية ، استخدام القرآن الكريم ألفاظاً مختلفة في المعنى . ولكنها جاءت في مواضع متشابهة ، واختص كل موضع بما يلائمه ويناسبه ومن هذه

١- كلمتا : الإلقاء والقذف : فقد وردت كل من الكلمتين في سياق الجهاد ومحاربة الأعداء ، مسندتين إلى الله تبارك وتعالى المنعم على عباده المؤمنين بإلقاء الرعب في قلوب أعدائهم. قال تعالى في سورة الأنفال : (سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب) [الأنفال : ١٢] ، وقال في سورة الحشر (وقذف في قلوبهم الرعب) [الحشر : ٢] ومن كان له أدنى اطلاع ومعرفة في قضايا اللغة يدرك أن كلمة (القذف) تعطي من الدلالة ، وتلقي من الظلال ما لا يوجد في كلمة (القاء) .

فكلمة (القذف) انما تستعمل لما فيه الشدة والقوة والضخامة، فالإلقاء جاءت في سورة الأنفال التي تحدثت عن غزوة بدر ، والتي كانت بين المسلمين وبين قريش ، وكان المشركون من أهل مكة ، لا يجدون ما يتحصنون به إلا تروسهم وأسلحتهم ، لكن كلمة (القذف) جاءت في سورة الحشر ، سورة بني النضير ، وقد كانت لهم حصونهم المنيعة الحصينة ، والقرآن الكريم يحدثنا عن ذلك ، وهو يمتن على المؤمنين (هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم ما نعتهم حصونهم من الله) [الحشر : ٢] .

٢- حاد وشاق هاتان كلمتان في كتاب الله ، استعملت كل واحدة منهما في موضع معين ، فقد استعملت الأولى في سياق الحديث عن المنافقين ، واستعملت الثانية في سياق الكافرين ، كما يشهد لذلك ما جاء في سورة براءة في سياق المنافقين (ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله) [التوبة : ٦٣] ، وفي سورة المجادلة (إن الذين يحادون الله ورسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم) المجادلة : ٥] (إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الأذلين) المجادلة : ٢٠] ووردت المشاقة حديثاً عن الكافرين في قوله تعالى (ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله) [الأنفال : ١٣] في سورة الأنفال حديثاً عن المشركين ، و (ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله) [الحشر : ٤] في سورة الحشر حديثاً عن اليهود .

والسؤال : لم اختصت كل كلمة بموضعها ؟ وللإجابة على ذلك نقول : إن المشاقة أن يكون كل من الفريقين في شق غير الذي فيه الآخر ، ففيها معنى البعد ، أما المحادة : فليس فيها هذا المعنى ، إذ المتحادان يفصل أحدهما عن الآخر علامة - توضع بين الفريقين كحد الأرض ، وهو ما فيها من علامات تميز بين الشركاء ، وهكذا المنافقون يدعون الإسلام بألسنتهم فتجري عليهم أحكامه الظاهرة وليس الكافرون كذلك ؛ لذا استعملت كلمة المشاقة في جانب الكافرين ، وكلمة المحادة في جانب المنافقين ؛ لأن المنافقين يدعون الإسلام بألسنتهم .

٣- وهاتان كلمتان متجاورتان في سورة آل عمران :

إحداهما : في قصة زكريا عليه السلام : (قال رب أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر ، قال كذلك الله يفعل ما يشاء) [آل عمران : ٤٠] .

والأخرى : في قصة مريم : (قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال : كذلك الله يخلق ما يشاء) [آل عمران : ٤٧] . فلقد عبر بالفعل (يفعل ما يشاء) في الآية الأولى ، لأن لفظ الفعل غالباً ما يجري على قانون الأسباب المعروفة . وعبر بـ (الخلق) في الثانية (يخلق ما يشاء) ، فالخلق يجري في الايجاد والابداع . ولما كان ايجاد يحيى من زوجين كسائر الناس ، عبر عنه بالفعل . لكن إيجاد عيسى - عليه الصلاة والسلام - جرى على غير قانون الأسباب والمسببات فعبر عنه بالخلق، ، أما ذكر الغلام في سورة مريم (قالت : أنى يكون لي غلام) فموافقة لجبريل حينما قال لها (: (إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا

٤- الإغراء والإلقاء : ، ولنستمع : في سياق الحديث عن أهل الكتاب **سمح**وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ**سجى** [المائدة: ١٤] وفي آية أخرى **سمح**وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۚ وَأَلۡقَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ**سجى** [المائدة: ٦٤] . جاءت كلمة الاغراء حديثا عن النصارى ، أما كلمة الإلقاء فجاءت في سياق الحديث عن اليهود ، وان كان كثير

من المفسرين ذهب إلى أن قوله تعالى (وألقينا بـينـهـم العداوة) أي بين اليهود والنصارى ، وإذا أردنا تفسيرا قريبا للإغراء والإلقاء، فإن الإغراء ببساطة هو الإلصاق بحيث إذا ألصقت شيئين معا يصعب فصلهما ، فهو مأخوذ من الغرا (بفتح الغين) أو الغراء (بكسرها) وهي المادة المعروفة عند كثير من الحرفيين ، أما الإلقاء فهو مجرد الطرح وبعد هذه المعرفة اللغوية ، إذا أردت أن تتذوق البيان في الآيتين الكريمتين ، فلا بد لك من التاريخ والواقع ، فلقد حدثنا التاريخ أن العداء بين الأمم النصرانية مستحكم ملصق بهم ، وعليك أن تقرأ التاريخ يحدثك عن تلك الحروب الطاحنة ، بين الشعوب الأوروبية والطرائف النصرانية. أما الإلقاء : فهو مجرد الطرح كما علمت ، فنحن نعلم أن ما بين اليهود من عداوة لم تصل إلى ما هي عليه عند النصارى

الدثار والتزمل : قال تعالى (يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا ، نصفه أو انقص – ٥ منه قليلا ، أو زد عليـه ورتل القرآن ترتيلاً } [المزمل : ١-٤] وقال تعالى (يا أيها المدثر ، قم فأنذر وربك فكبر ، وثيابك فطهر) [المدثر : ١-٤] ، وكثيرون الذي يفسرون الدثار والتزمل بمعنى واحد ، إلا أن اختيار الكلمة القرآنية في موضعها ، يحتم علينا أن نبحث عن سر هذا الاختيار ، فالدثار هو اللباس الذي يلي البشرة ، أما التزمل فهو يعطي معنى زائدا على ما سبق ، فالتزمل فيه معنى الثقل والكثرة ، ومنه الزوامل التي تحمل الأحمال الثقيلة ، ولما كان الدثار أمرا لابد منه لكل من يقابل الناس ، جاء قوله سبحانه (يا أيها المدثر قم فأنذر) ولما كان المتزمل المتلفف، المتثقل بما يضعه على بدنه من ثياب وغطاء وغشاء – التزمل عادة إنما يكون في الليل عند النوم - ، جاء قوله سبحانه (يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا) . وهكذا تجد الكلمات القرآنية كل في موقعها الذي يصلح لها ، وفي موضعها الذي لا تصلح هي إلا به .

ثالثا : رسالة الحرف في كتاب الله تعالى

ما ذهب إليه كثير من العلماء من تناوب الحروف بعضها مكان بعض ، قضية غير مسلمة أو مستساغة في كتاب الله تعالى ، فكل حرف له مدلوله الخاص به .

سئل أبو العالية عن قوله تعالى (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) فقال أبو العالية : هو الذي يسهو في صلاته ، فقال الحسن : لا ، يا أبا العالية : إن الله يقول ((عن صلاتهم) ولم يقل في صلاتهم

: استعمال الأحرف المختلفة في أماكن متشابهة

١- في سورة البقرة قال تعالى (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا) (البقرة : ١٣٦] وفي سورة آل عمران قال (قل آمنا بالله وما أنزل علينا) [آل عمران : ٨٤] . فنحن نرى أنه عبر بـ (إلى) حينما كان الخطاب للأمة لأن القرآن إنما أنزل اليهم ، وتجيء (على) حينما كان الخطاب للرسول – ﷺ – لأن القرآن إنما أنزل عليه وحده .

٢- ومن هذا القبيل ما نقرؤه في سورة النساء (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً وارزقوهم فيها واكسوهم) (النساء : ٥) وبعدها بآيتين نقرأ قوله سبحانه (وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه) [النساء : ٨] . فلقد عبر بحرف الجر (في) في الآية الأولى لغرض رائع ، وهدف بديع ، ذلك أن إعطاء أولئك من المال لا ينبغي أن يكون من أصله وعينه ، وإنما من ربحه وثمرته فهي دعوة لاستثمار المال واستغلاله فيما يحل.

٣- ونقرأ قوله الله تبارك وتعالى (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) [التوبة :٥١) ولم يقل (علينا) فوضع اللام هنا مقصود ، متفق مع نفسية المسلمين الذين يعدون كل ما يأتي من الله تبارك وتعالى خيرا ونعمة .

٤- وحينما نقرأ سورة الفتح نجد ربنا تبارك وتعالى يمتن على نبيه – ﷺ – وأصحابه – رضوان الله عليهم – بمنن كثيرة ، منها انزال السكينة وهذه المنة تذكر مرات ثلاث في ثلاث آيات ، تعدى فعل الإنزال في احداها بحرف الجر (في) ، وفي الآيتين الأخريين بحرف الجر (على) وإليكم هذه الآيات لتتدبروها : الآية الأولى : (هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم) [الفتح : ٤] والآية الثانية : (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم) [الفتح : ١٨] . والآية الثالثة : (فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين)] [الفتح:٢٦] . والمتتبع لأحداث الحديبية يدرك ما أصاب المسلمين من هزات ، وما أقلقهم من أحداث ، كان أولها ، حينما صدهم المشركون عن البيت ، ثم تلا ذلك ما أشيع عن قتل عثمان – رضي الله عنه – وما أعقب ذلك من بيعة الرضوان " . ، ولعل أشدها ما كان عند إبرام الصلح

إذن كان المسلمون بحق بحاجة ماسة إلى هذه السكينة في هذه المواطن الثلاثة ، لذا أنزلها الله على رسوله وعلى المؤمنين حينما صدوا عن البيت بسبب حمية الجاهلية ، وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة (إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) [الفتح: ٢٦] فالمؤمنون

يذكرون مع الرسول عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم لانزعاجهم جميعاً من صد المشركين إياهم ومنعهم من أن يتموا عمرتهم . ولكن المؤمنين خصوا بهذه السكينة عند بيعة الرضوان كرامة من الله ، كما رأينا في الآية الكريمة (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم) عدى الإنزال بـ (على) . أما الموضع الأخير ،وهو ما كان عند إبرام الصلح ، وقد وجد المسلمون في أنفسهم من القلق والألم والاضطراب ، فلقد عدى الإنزال بـ (في) ، وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة (هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم) فلقد كان المسلمون بحق بحاجة إلى السكينة تتغلغل في قلوبهم في هذا الموطن عند ابرام الصلح ؛ لذا عدى الإنزال بـ (في) دون الموضعين الآخرين ، لأن المؤمنين كانوا أكثر حاجة إلى هذه السكينة في هذا الموطن ، وبدهي أن هناك فرقا كبيرا بين (في) و (على) إذ تستعمل (في) للظرفية، وهذا يدل على تغلغل السكينة في أعماق المؤمنين وقلوبهم .

٥- ومن هذا ما نجده من أسرار بيانيه في استعمال الحروف بين هاتين الآيتين قال تعالى (وأنزل لكم من السماء ماء لكم فيه شراب ومنه شجر فيه تسيمون) النحل : ٦٠] وقوله سبحانه (وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان ، وليربط على قلوبكم وليثبت به الأقدام) [الأنفال : ١١] فالآية الأولى التي ذكر فيها اللام وما يشبهها ، جاءت تبين أن الله أنزل الماء من أجلهم ، لتحيا به الأرض ، وليشربوا وأنعامهم وهكذا نجد أن الآيات الكريمة التي ذكرت فيها نعمة إنزال الماء يذكر فيها هذا الحرف اللام (لكم) . ولعل الآية الوحيدة التي ذكر فيها حرف الجر على ، الآية الثانية (وينزل عليكم) ، وهي كما نعلم جاءت تتحدث عن نعم الله على المؤمنين في بدر . فما سر ذلك. إن إنزال الماء من السماء ، من أجمل نعم الله ، فلا تتم الحياة إلا به « لنحيي به بلدة ميتاً ونسقيه مما خلقنا انعاما وأناسي كثيراً » ؛ لذا كانت اللام هي التي تدل هذه الدلالة الواسعة . أما في آية بدر فكان إنزال الماء لحكمة اقتضاها الظرف الذي يعيشه المؤمنون في هذه الفلاة من الأرض ، فلقد كان إنزال الماء عليهم ؛ لأن هدفه تطهير أبدانهم مما أصابها من حدث ، وذلك ليقابلوا العدو بنفوس طاهرة ، وأجسام طاهرة كذلك . وأيد متوضئة

٦- ومن هذا القبيل قوله سبحانه (وأوحى ربك إلى النحل) (النحل : ٦٨) (وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه) (القصص : ٧] (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا) (الشورى : ٥٢) (وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا) يوسف : ١٢] (إنا أوحينا

إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده) [النساء : ١٦٣] . وهكذا تجد الآيات التي جاء فيها الوحي جاءت على هذا النمط ذكر فيها حرف الجر إلى ، ولكن آية واحدة في كتاب الله وجدناها تخرج عن هذا النمط ، ويخالف فيها ، ذلكم السياق ، حيث لا يتعدى الفعل فيها بإلى ، وإنما بذكر حرف آخر وهو اللام ، وهذه الآية هي قوله سبحانه (إذا زلزلت الأرض زلزالها ، وأخرجت الأرض أثقالها ، وقال الإنسان ما لها ، يومئذ لحدث أخبارها ، بأن ربك أوحى لها) (الزلزلة : ١ – ٥) وهذه الآية دون غيرها ، كان الوحي فيها للجماد : وهي الأرض ، أما غيرها من الآيات فكانت إما للأنبياء عليهم الصلاة السلام ، وإما لغيرهم من العقلاء ، وإما لغيرهم من ذوي الحياة ، كالنحل مثلاً ، وهكذا نجد أن تغير الحرف إنما جاء يشير إلى أمر وقضية ، حري بها أن تتدبر . - . . الوحي للجماد عدي باللام ومنه قول الراجز (وحى لها القرار فاستقرت) وذلك أن الأرض سخرت دون أن يكون لها جهد في هذا الوحي أما غير الجماد فليس كذلك لأن له جهدا فيما أوحي له سواء كان هذا الجهد فكرا وتدبيرا ، كما هو من العقلاء ، أم كان سيرا وإلهاماً كما هو لغير العقلاء و كما تفعل النحل . ثم إن آيات الوحي كلها كان الحديث عنها في الدنيا ، أما هذه الآية الأخيرة فإن الحديث عنها في الآخرة.